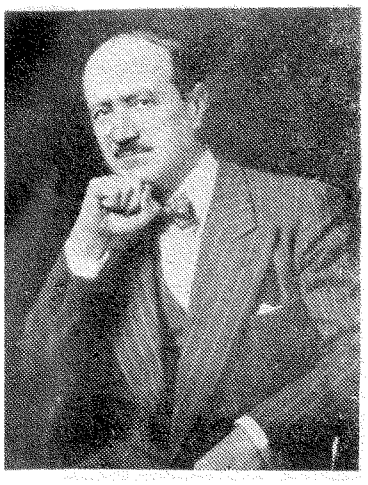

لسان جون بيرس

تقديم لهاني صعب

مدائح

إشراقات من الشعر المعاصر

تزين عمارة الشعر العالمي المعاصر ، اطلالة ماردة ، متوحدة ابدا ، وغائبة ابدا ، تنقل الى الناس بصوت مقنع ، وبايماءة شبه مضاءة ، ايقاعات كبرى من الطبيعة والنفس والتاريخ ، ملأى بالقوة والاسرار .

هذه الاطلالة الماردة ، التي تشل الحرف على الكون وكأنه منتزع من جنجرة جرس في واد سحيق . هذه الايقاعات الكبرى بل هذه الملحمة الرحبة لانها لم ترض بسوى الكون جميعه موضوعا لها ، انما هي لشاعر فرنسا الكبير سان جون بيرس .

ولد « ماري ـ رينيه ، الكسي ، سان ـ ليجيه ليجيه » ـ وهذه هي كنيته الاصلية ـ في ٣١ ايار عام ١٨٨٧ في جوادلوب ، احدى الجزر الصغرى التي تقع بين اميركا الشمالية والجنوبية . وبعد ان امضى قسما من طفولته في جزيرة صغيرة للتنزه تدعى « سان ليجيه لي ـ فوي »Saint - Léger - Les - Feuilles كانت تملكها عائلته التي تحمل اسمها . وقسما في مدينة مجاورة وفي مزرعتي عائلة امه : « دار بوا ديبو » و « دار جوزفين » ، جيء به الى فرنسا عام ١٨٩٨، حيث تابع دروسه الثانوية في «ليسيه دي بو » والحقوقية في « بوردو » التي شهدت مولد قصائده « صور لكروزوبيه »

وفي عام ١٩١٤ التحق بالسلك الخارجي . وشغل منصب سكرتير للسفارة الفرنسية في بكين من عام ١٩١٦ الى عام ١٩٢١ .برهة قام خلالها بعدة رحلات في الصين وكوريا ، والى اليابان ومنغوليا وجزر ماليزي وبولينيزي .

وفي ختام عام ١٩٢١ ، عين خبيرا سياسيا لقضايا الشرق الاقصى في اجتماع دولي في واشنطن . ومديرا سياسيا للخارجية عام ١٩٢٩ . وسفيرا عام ١٩٣٣ ثم سكرتيرا عاما حتى عام ١٩٤٠ الذي اهل شؤما عليه وعلى الشعر . اذ اتهم من قبل حكومة فيشي ، التي اسقطت عنه جنسيته الفرنسية ، وحرمته من حقوقه ، وانتزعت منه وسام الشرف ، فوق اتلاف الجستابو اثر تفتيش منزله ، لاكثر من سبعة مؤلفات مخطوطة، حصيلة جهد يمتد من عام ١٩١٦ الى عام ١٩٣٩ ، قيل انها اضاميم خمس من الشعر ودراما وجملة مقالات.

اذن لم يبق له سوى الرحيل .

ومنذ ذلك الحين ، اي منذ ١٤ تموز عام ١٩٤٠ ، الموعد الذي حط فيه قدمه في نيويورك حتى الان، لم يرجع الى اوروبا ، رغم حصوله مباشرة بعد تحرير فرنسا على كامل حقوقه .

ان صانع الملاحم « سان ـ ليجيه » على حد قول محرر «التايم» في عددها الصادر في ٢٥ اب عام ١٩٥٨ ، يقيم حاليا في واشنطن بكل هدوء ، محاولا ان يعوض الخسارة التي انزلها النازي باعمال سان ـ جون بيرس . اسم استعاره « ليجيه » بحكم الضرورة زمن انغماسه في الدبلوماسية. دون ان يكون لاي مزعم آخر مد اصبع. ولا صحة على الاخص للظن الذي يربط هذه الاستعارة باعجاب سابق بالشاعر اللاتيني «بيس».

اخاله قد وفى اكثر نذره . فقصائده الطوال: « مدائح » Eloges و « اناباز » Anabase ، و « منفى » Exil و « رياح » Vents اخيرا «امير» Amers ، تتحدى تلك الايدي التي تخاصرت يوما ، لتمحق سبع اخوات لها في قمطها . وتمر على رخامة العين مر عثكولة من الاضواء يثقلها غبار الاساطير .

اخاله قد وفى نذره . بينما اولئك المخربون يلمهم النسيان ليذر في احداقهم غبار الكناسات .

خمس قلائد ، تجمعها الكلمة السلطانه ، والصورة الشده ، والنبرة الملحمية الفخمة،بطريقة تخالف مجموعةالشعر الفرنسيخاصةوالعالميعامة.

يقولون ان « ر.ب. دوس » وهو عالم نباتي مرموق وصديق عائلته في جوادلوب ، كان له بعض التأثير عليه في طفولته . وان احد اساتذته من تلامذة الجيولوجي « ادوار سويس » الذي ينتمي لمدرسة العلماء الرومانتية التي تغلب احيانا الحدس والرؤية الفنائية على الحقيقة الاختبارية ، كان يستأثر باصغائه في « بوردو » . وان العصور الصينية القديمة ، قد غزت خياله الى ابعد حد . وان تلك النبرة العظيمة تثير في البال نبرة التوراة ، وكتاب الاموات للمصريين القدماء . ولكن ما من رأي يقطع . لقد هضم بيرس اغذيته بشكل عجب . وأي مدد يمكن ان يصادف عنده ، فمن الصعب ان يهتدي الى منبعه .

تحديد واحد صح ، وكان في النسق ، هو التجانس القريب نوعا في سبك الشعر بينه وبين « بول كلوديل » الشخص الذي كان يعجب به ويجله . تجانس لم يطمح ليكون طابعا .

ان طابع بيرس نسيج وحده . خاصته الكبرى لاتقتصر على طينة القصيدة وصورها ولقاها وحسب . بل تنزع الى عطاء في حالة الصفاء ، او اشبه ما يكون بلهجة نبوية تعكس ابعد من معناها المباشر .

يميزه كذلك ، استعمال حروف العطف في اول القصيدة ، والتعجب، والندبة ، والنداء ، والاضمار ، والامر ، والمجهول والضمائر الحيادية . وتغيير صفة المتكلم في وسط الوصلة الشعرية . مما يزيد في سرعة ومد نفس القصيدة واحيائها .

انما الذي يبعث على الدهش حقا . هو ان يكون هذا الضرب من الشعر، برغم من صعوبة مادته التي تتخمها الغرابة والرموز الخفية ، صالحا للترجمة . حتى انه قد نقل الى معظم لغات العالم الحية ، دون ان يفقد روحه ، او ان يوقع ناقليه في عدم الامانة او في عقبات لا تذلل ، باعتراف ناقليه انفسهم . وانني بعد ان قمت بهذه التجربة ، لاضم صوتي اليهم مجاهرا بهذا الاعتراف .

على ان ذلك ، ليس من قبيل الصدفة. فسان ـ جون بيرس يستعمل لغة صافية غنية مليئة بالصور ، تظل وان جردت من عباءتها المحلية ، محتفظة بفضل تلك الصور ، بسيطرتها وترفعها عن ان تنزلق في نزلات النثر بالذات .

يقودنا هذا ، الى نعت بيرس بشاعر الصورة الاول ، ولكن من طراز مغاير لم نعهده عند شعراء الصورة .

بعض التقارب فقط ، ظهر لي بافوى حال ، موزعا على « مدائح » وقصائد لـ ت.س.اليوت الذي حول « انابازِ » الى لغته .

واليك ترجمة هذا المقطع الاول ، على سبيل المثال ، من قصيدة لاليوت بعنوان « مطالع » :

« المساء الشتائي يهبط
مع روائح الشواء في الازقة .
الساعة السادسة .
اعقاب مطفأة لايام مدخنة .
واذا بزخة عاصفة من المطر
تلف نتف الاوراق
الذابلة الوسخة حول قدميك
وبجرائد تنهال من بقع خاوية ،
وزخة المطر تخبط
على شعريات الشبابيك وقروميد المداخن ،
وفي زاوية من الشارع
حصان عربة وحيد ، ينفث البخار ويرفس .
ثم تشتعل المصابيح . »

اما اذا كان اليوت قد تأثر بالتصويرية الى مقدار ما . فان بيرس هو شاعرها المبدع ـ ولكن من طراز مغاير كما قلت ـ الى غاية انه اختصها بالبوم كامل يجمع سلسلة من الصور تلبس الجمال كلسان من نار .

هذا الالبوم ، هو « مدائح » . نشره اولا في ثمانية عشر نشيدا ـ يرى القارىء ترجمتها فيما يلي ـ بامضاء « سان ـ ليجيه ليجيه » في « المجلة الفرنسية الحديثة » عام ١٩١٠ . ثم في مجلد اضيفت اليه بعض القصائد بامضاء « سان ليجيه ليجيه » ايضا عام ١٩١١ ، ثم في طبعة اخرى عام ١٩٢٥ ، مع قبضة قصائد جديدة تحت امضاء سان ـ جون بيرس هذه المرة .

مداره ، طفولة في جزيرة ، ذكريات تكر كالثواني . ثوان في صور . وشعر ياخذ بالاندر والانبل . همه ان يحرك النفس ، وان يرفع القارىء خطوة خطوة الى مستواه فاقد اللهاث . شعر لا يقص ، لا يشرح ، انه يعبر ، بل هو لايعبر. انه يعرض .

لوحات من « برانتابيثر » مدينة في جواديلوب ، حيث سجلت ولادة الشاعر ، هذه « المدائح » .

يسأل بيرس ببراءة الصبي :

« لقد أحببت حصانا ، ترى أيا هو كان ؟
لقد تفرس في وجهي أكيدا من تحت عرفه . »

وببراءة الصبي يصرخ :

« لاتشدي هكذا بشعري »

او يستيقظ ثملا بألف مشهد ومشهد من النبات والحيوان :

« أيها الافق اللازورد ! ان حيواناتنا محشوة بالصراخ !
أستيقظ مفكرا بثمر « انيب » الاسود ، بأزهار في باقات تحت ابط الاوراق . »

او يجلس وحيدا في صداقة ركبتيه ماخوذا بفكرة وحدة الوجود على مايبدو :

سأخرج ، لان لدي عملا : حشرة
تنتظرني لافاوضها . او بالحري
فان لدي تحالفا مع الحجار ذات العروق الزرقاء .
وانت ستتركينني كذلك جالسا في صداقة ركبتي . »

كل شيء ملموس ومرئي في هذه اللوحات المجلوبة من ارض الهزات البركانية : الاحداث اليومية ، الاطار العائلي والطبيعي تتوالى بوفرة هنا وهناك :

ـ « كأمواج من قاع الارض يسحبون صفائح كبيرة مرنة من المعدن..
ـ وأمهاتنا يعزمن النزول معطرات بعشبة مدام ـ لالي ...
ـ عندنا اكليرس من الكلس ، موتى الفيضان مثل حيوانات
محلوجة ، في تلك الصناديق القصديرية التي يحملها الوجهاء . »

انت دوما مع الصبي « ليجيه » تلعب بسلاحف تتدحرج كنجوم سمراء ، وشراع كنفس كبيرة مضطربة ، وتلك الاسماك التي تنسل كالفكرة في مدى النشيد ، وخشاخيش بين يديكما كعارثة جلبان ، وقطعة صغيرة من السماء تزرق على حدر أظافركما .

وبعد ، فهذه « مدائح » في ثوبها العربي ، بأمانة كلية ولا ازيد .

ان كل شرح او تأويل لمثل هذا الشعر ، هو نوع من التجديف والتدنيس .

قد تكون خسرت ايقاع أبياتها المنثورة .

قد تكون خسرت التزاوج المحكم والرنة الفخمة لبعض مفرداتها في لغتها الام ، شأن كل شعر منقول ، ولا سيما اذا كان لشاعر كبيرس . الا اننا مع ذلك ، تظل بفضل صورها ـ كما جاء سابقا ـ أعز من ان تسقط في مهاوي النثر بالذات .

مدائح : لسان ـ جون بيرس

ـ ١ ـ

اللحوم تشوى في الهواء الطلق ،
المرقة تهيأ
والدخان يصعد الدروب بشدة
ويلحق ذاك الذي كان يسير .
آنئذ يفر الحالم ذو الوجنتين الوسختين
من حلم عتيق موشح بالقساوة والمكر
والبهاء ،
وينزل
مزخرفا بالعرق ، نحو رائحة اللحم
كأمراة تجر بتثاقل . نسائجها ، وكل بياضاتها
وشعرها المبعثر .

ـ ٢ ـ

لقد أحببت حصانا ـ ترى أيا هو كان ؟ ـ
لقد تفرس في وجهي أكيدا ، من تحت عرفه .
كان ثقبا منخريه الحيان ،
شيئين جميلين للنظر ـ مع ذلك الثقب الحي
المنتفخ فوق كل عين .
كان عندما يركض ، يعرق : اي يشع
بالضوء ! ـ وكنت أعصر أقمارا على جانبيه
تحت ركبتي في الصباء ...

لقد أحببت حصانا ـ ترى أيا هو كان ؟ ـ
وأحيانا « لان الحيوان يعرف جيدا
ما هي القوى التي تمجدنا »
كان يرفع الى آلهته رأسا من نحاس :
رأسا لاهثا ، تخططه شبكة من عروق .

ـ ٣ ـ

ايقاع الكبرياء يهبط التلال الحمراء .
السلاحف تتدحرج في المضائق
كنجوم سمراء .
ومرافىء كبيرة تصنع حلما مليئا
برؤوس الاطفال ...
كن رجلا ذا عينين هادئتين يضحك ،
رجلا صامتا يضحك تحت جناح
الحاجب الهادىء ، كمال الطيران « وبطرف من
هدب ساكن يرجع الى الاشياء التي رأها ،
مستعينا بدروب البحر الخادعة ...
وبطرف من هدب ساكن
يكون قد صنع لنا اكثر من موعد في جزر ،
مثل ذاك الذي يقول للاصغر منه :
« سوف ترى ! »
فانه هو الذي قد يتفاهم مع سيد المركب . »

ـ ٤ ـ

ايها الافق اللازورد ! ان حيواناتنا محشوة بالصراخ !
أستيقظ مفكرا بثمر « آنيب » الاسود
في كؤيسه المثالل الابتر ... آه حقا ! لقد نهشت
السراطين شجرة بأكملها ذات ثمار طرية . هناك شجرة
ملاءى بالندوب ، نمت على جذعها ،
أزهار كثيرة العصير . وأخرى
لايمكن مسها باليد ، كما يمكن ان تفعل ،
دون ان تمطر على الفور
من ذلك الذباب ، الالوان ! ... النمال تركض
في وجهتين ، ونساء يضحكن وحدهن
في أزهار الاسفندان ، تلك الازهار الصفراء ـ الملطخة ـ
بالسواد ـ الارجوان ـ في الاسفل التي تستعمل
في اسهال الحيوانات القرناء ... والجنس
يعبق شذاه ، والعرق يشق له طريقا رطبا .
ان رجلا وحيدا قد يضع أنفه في
طية ذراعه . وتلك الضفاف تنتفخ ، تنهار
تحته ركام من الحشرات في أعراسها
المجنونة . لقد برعم المجذاف في
يد الجذاف . وكلب حي في طرف
كلاب هو خير طعم للتماسيح ...
ـ أستيقظ مفكرا بثمر « آنيب » الاسود ؟
بأزهار في باقات تحت
ابط الاوراق .

ـ ٥ ـ

... أما تلك المياه الهادئة ، فهي الحليب بعينه
وكل ما يندلق كذلك في خلوات
الصباح الطريئة .
الجسر المغسول ، قبل النهار ، بماء
يشبه في الحلم مزيجا من فجر ، يصوغ
خبرا حلوا عن السماء . والطفولة معبودة
النهار ، عبر عريش من المظال المدحرجة
تنزل الى مستوى أغنيتي .
أيتها الطفولة ، ياحبي ، ألم يكن
غير ذلك ؟ ...
أيتها الطفولة ، ياحبي ... ذاك الحلقة
المزدوجة للعين ، والسهولة في الحب ...
هدوء كبير يخيم ، ففتور ،
واستمرار كبير ايضا ،
حتى ليبدو غريبا ان نكون هناك ،
مشبوكي الايدي الى
ليونة النهار ...
أيتها الطفولة ياحبي ! لاشيء
غير الاذعان ... وهل قلت ذلك يومئذ ؟ انا لاأريد
حتى تحريك هذه الثياب
في القنوط ، في خلوات الصباح
الخضراء ... وهل قلت ذلك يومئذ ؟
لا شيء غير ان نخدم
كحبل عتيق .. وذلك القلب ، وذلك
القلب ، هناك ! فلينجر على الجسور ،
أحقر وأقفر وأرث
من ممسحة عتيقة ...

ـ ٦ ـ

ويصعد آخرون ، بدورهم ، على
الجسر
وأنا أطلب ، مازلت ، الا ينشر
الشراع ... أما ذلك الفانوس ، فيمكنكم
بصواب ان تطفئوه ...
أيتها الطفولة ، ياحبي ! ها هو الصباح ،
ها هي
أشياء عذبة تتوسل ،
كالبغض للغناء ،
عذبة كالخجل ، الذي يرتجف على
الشفاه ، أشياء مقولة عن عرض ،
يالها أشياء عذبة ، وتتوسل
كصوت ذكر لا أعذب ، اذا رضي
ان يحنى نفسه البحاء نحو التي تحني ...
والان فأنا أسألك ، أليس
الصباح ... سهولة في النفس
وطفولة النهار الهاجمة ، العذبة
كنشيد يمط العيون ؟

ـ ٧ ـ

قطعة صغيرة من السماء تزرق على حدر

أظافرنا . النهار سيكون حارا حيث تتكاثف
النار . وها هي الحال كما ستكون :
تشنج في اللجج القرمزية ،
الهوة مداسة بجواميس الفرح (يا للفرح
الذي لا يوصف الا بالضوء !) والمريض
في البحر ، سوف يقول
لنوقف المركب كي يستطاع الاصغاء
الى ضجيج صدره .
وفراغ كبير اذ ذاك لكل الذين
في المؤخرة ، ورفس الصمت يرتد
الى جباهنا .. الطير الذي كان يتبعنا ، يحمله
طيرانه الى فوق رؤوسنا ، فيتجنب الصاري ، ويمر
عارضا لنا رجليه الورديتين كالحمام ،
متوحشا مثل همبيز ورقيقا مثل
أحشويروش .. ويقول اصغر المسافرين ،
الجالس بكله تقريبا على الدرابزون : « أرغب في
ان احدثكم عن الينابيع تحت
البحار .. » (ويطلب اليه ان يقص)
ـ سوى ان المركب يصنع ظلا
أخضر ـ أزرق ، ساكنا ، نفاذا ، يستولي
عليه الغلوقوز حيث ترعى
كقطعان رشيقة متعرجة
تلك الاسماك التي تسل كالفكرة
في مدى النشيد .
.. وانا ، كلي صحة ، أرى ذلك
واروح
قرب المريض اقص عليه ذلك :
وها هو يبغضني

ـ ٨ ـ

للتاجر الرواق على البحر ،
والسقف لصانع التقاويم !.. أما الاخر
فله المركب الشراعي في قعر خلجان صغيرة من الخمر
السوداء ، وتلك الرائحة ! وتلك الرائحة الشرهة
للخشب الميت ، التي تبعث على التفكير ببقع
الشمس ، بالفلكيين ، وبالموت ..
ـ هذا المركب هو لنا وطفولتي
ليست في نهايتها .
لقد رأيت كثيرا من الاسماك
التي علمت على تسميتها . رأيت اشياء اخر
كثيرة ، لا تشاهد الا في عرض المياه ،
واشياء اخر ميتة ، واخر
خادعة ... ولكن لا
طواويس سليمان ، ولا الزهرة المرسومة
على حمالة الرا ، ولا الهر ـ النمر المشبع
من اللحم البشري ، امام الالهة النحاس ،
لمونتزوما
تفوق بالوانهـا
ذلك السمك الدغل ، المتسلق
ظهر المركب ليفرح أمي الشابة
والتي تتثاءب .
... وكانت تتهرأ اشجار في قعر
خلجان صغيرة من الخمر السوداء

ـ ٩ ـ

... آه انتهي ! اذا تحدثت بعد
عن النزول الى البر ، فأنا أفضل ان اخبرك ،
اني سأرتدي هناك تحت عينيك .
الشراع يقول كلمة جافة ، ويساقط
ما العمـل ؟
الكلب يرتمي في الماء ويدور حول
الفلك .
الاذعان ! مثل حبل قلع .
حالي الزورق
أو لا تحليه ، او قرري
ان نستحم .. فذلك يوافقني ايضا
.. صداقة الماء كلها تحلم ثانية
بصمت على نواحي الشراع
امضي ، فان حكاية حلوة
تنتظم هناك
ـ يا له من سبوندي (١) للصمت ممطوط
على مداه !
.. وانا الذي يكلمك ، لا اعرف شيئا
قويا او عاريا
مثل الشراع الضخم النزق
بلون الدماغ
ذي الطيات التي تهدبه ،
والممتد بجانبنا ، في وسط مركب
.. الاعمال ، أعياد الجبين ، واعياد
العنق !..
وذلك الصخب ، وذلك السكون !
وتلك الاخبار في السفر ، وتلك الرسائل في المد والجزر
يا خمور النهار المراقة !.. ومنظر الشراع ،
النفس الكبيرة المضطربة ، الشراع الغريب ،
هناك ، والدافيء الموحى ، مثل منظر
وجنة .. يا
نفحات الريح ..! انا حقا اسكن في
حنجرة اله .

ـ ١٠ ـ

كي تنزل الابقار والبغال الى البر،
يعطون المياه ، من على ظهر السفينة
تلك الالهة المسبوكة بالذهب ، والمفروكة بالراتينج .
المياه تزهو بها ! تتبجس !
ونحن ننتظرها على رصيف الشاطيء مع
قدر من الخشب مرفوعة بشكل مشاعل

(١) Spondée في الشعر ، جزء مركب من مقطعي كلمة طويلين

واعيننا مسمرة على نجمة تلك الجباه ـ اذ كان
هناك جمع معرى بكامله ، مؤتزر برونقه ،
وقنـوع

ـ ١١ ـ

كأمواج من قاع الارض
يسحبون صفائح كبيرة
مرنة من المعدن : صفائح جافة ، مرتعشة
تريق سفحا من السماء ، مسببا باسره .
كي ترى ، قف في الظل . والا فلا .
المدينة صفراء من الحقد . الشمس
تقذف في احواض المرافيء شجارا
من رعود . وقدر من الطعام المقلي تسهيل على
طرف الشارع ، الذي ينعطف من الطرف الاخر
أليفا لغبار القبور .
(لان المقبرة هناك ، هي التي تسود
عاليا ، بجوانب من خفان : مشكوكة بالغرف ،
ومغروسة بأشجار كظهور الكزوار (١)

ـ ١٢ ـ

عندنا اكليرس من الكلس
أرى النيران تشع في معسكر
لعمال اللحام ...
ـ موتى الفيضان ، مثل
حيوانات محلوجة
في تلك الصناديق القصديرية التي يحملها
الوجهاء ، والعائدة من دار البلدية
في الشارع الكبير المسدود بالمياه الخضراء (ايتها الرايات
المدموغة كظهور الاسابع ، والطفولة
في السواد مشنوقة بشراريب من ذهب !)
كانوا مكومين ، لحين ،
في المكان المسقوف من السوق :
حيث يقف
ومرتديا كيسا عتيقا يعبق
برائحة الارز ،
زنجي ذو شعر كصوف
خروف اسود يلوح كنبي
يوشك ان يصرخ في صدفة ـ بينما
تنبىء السماء الرمادية البيضاء
بزلزال اخر في ذلك المساء .

ـ ١٣ ـ

رؤوس السمك تتهانف
بين اطباء هر ميت منفوخ
ـ أخضر او خبازي ؟ ـ وبره ، ذو لون الحرشف ،
رديء ، لبد
كخصلة شعر تمتصها عانس
مسنة صغيرة عجفاء ، ذات يدين بيضاوين
من البرص .
والكلبة الوردية تجر قبالة الفقير
كمية من لحم الضروع
وبائعة الحلوى
تطرد الزنابير التي يشبه طيرانها
لسعات النهار على ظهر البحر
وولد يرى ذلك ،
جد جميل ،
حتى انه لم يعد يستطيع اطباق اصابعه ..
غير ان الجوز الهندي المستنزف ،والمرمي هناك ،
كرأس اعمى يصرخ منعتقا من الكتف ،
يرد عن المجرى
بهاء المياه الارجوانية المصفحة
بالدهن والبول ، حيث يحوك الصابون
نسيجا كنسيج العنكبوت .
على الطريق العام الحقيقي ، فتاة
مرتدية كملك ليدي

ـ ١٤ ـ

بصمت تنسل المائية وتخرج
من اطراف الورقة الرقيقة
ها هي سماء من القش يرمى فيها ،
يا للرمي ! المشعل بكل قوة !
اما انا فقد سرت القهقرى
يا اصدقائي الذين لا اعرف اين ؟..
ألن تروا ذلك ايضا ؟.. مواني‌ء تزفر ،
ومياه حلوة من النحاس الرخو
حيث الظهيرة مفتتة الصنوج تثقب
وهج بئرها .. يا عجبا ! هذه هي الساعة
عندما ، في المدن المسخنة بكثرة ، في قعر
الباحات اللزجة تحت العرش المجاودة
عندما يجري الماء الى البرك المسدودة تهتكه
ورود الظهيرة الخضراء.. والماء العاري
هو اشبه بلب حلم ، والحالم
يضطجع هناك ، مثبتا الى السقف
عينه الذهبية المقاتلة ..
والولد الذي يعود من مدرسة
الاباء ، ودودا لصق مودة الجدران
التي تنث رائحة الخبز السخن ، يرى عند طرف
الشارع حيث يلف
البحر الخاوي اكثر جلبة من
مزاد للاسماك . وبراميل السكر
تسيل على الارصفة المركشيت
التي دهنها النفط بمشجرات كبيرة
وزنوج حمالو بهائم مسلوخة
يبحثون على خزف دكاكين الجزارين النموذجية

---

(١) نوع شبيه بالنعام ، من الطيور العداءة في استراليا يستعمل ريشه للزينة

ليحطوا ثقلا من العظم واللهاث
وعند مفرق الطرق في السوق البرونزية
الدار الشامخة المحنقة حيث يتدلى
السمك ، والتي يسمع اليها تغني في
صفيحتها الحديد ، رجل امرد ،
في ثوب قطني اصفر ، يصيح : انا الله !
واخرون : انه مجنون !
واخر مأخوذ بالرغبة في القتل
يتوجه الى مستودع المياه
مع ثلاثة اكر من السم : وردية ، وخضراء ، ونيلية
اما انا فقد سرت القهقرى

— ١٥ —

ايتها الطفولة ، يا حبي ، لقد احببت كثيرا
المساء كذلك : انه ساعة الخروج
خادماتنا دخان في تويجات
الفساتين .. ونحن ، ملتصقين الى درفات النوافذ
تحت ضفائرنا المجلودة ، كنا نرى
كم هن بملاسة ، وكم هن بعري
يرفعن اطواق الفساتين الناعمة الى اطراف اذرعهن
وامهاتنا يعزمن النزول ، معطرات
بعشبة مدام لالي .. اعناقهن
جميلة . تقدم واعلن : امي
هي الاجمل ! — وفي الحال اسمع
الثياب المنشاة
التي تجر بين الغرف
زمزمة رقيقة .. والمنزل ! المنزل ؟
نخرج منـــه !
الرجل المسن حتى ، قد يغبطني على
زوجي نواقيس
وخشاخيش بين يدي
كعارشة جلبان ، كالبندق الهندي
واولئك الذين شاخوا في البلد يسحبون
كرسيا الى الباحة ، ويشربون البونش
بلون الصديد .

— ١٦ —

... اولئك الذين شاخوا في البلد
نهضوا بكرة
ليدفعوا درفات النوافذ وينظروا الى السماء
والبحر المتلون
والجزر ،قائلين : سيكون النهار جميلا
اذا احتكمنا الى هذا الفجر .
وفورا يطلع النهار ! ويشتعل حديد
السقوف المصفح في الرعب ، ويسلم المرفأ الى القلق ،
والسماء الى سورة النشاط
ويرتمي الراوي في اليقظة !
والبحر ، بين الجزر ، ورد كالشبق ،
لذته مادة للمنازعة ، كانت له
لقاء حصة من اساور النحاس !
واولاد يركضون الى الشواطيء ! وخيول
تركض الى الشواطيء !.. مليون
من الاولاد يحملون اهدابهم
كخيميات الزهر .. والسابح
له فخذ في ماء فاتر ، واما الاخرى
فتثقل في مجرى رطب ، والزر الحبشي ،
وقنب سيام
والقراص ذو الزهور الخضراء وذاك الفطر
الملتبد ، لحية الجدر العتيقة
جميعها تهيم على السطوح ، عند جفاف الميازيب،
لان ريحا من ابرد رياح السنة ،
ترتفع ، عند برك الجزر التي تزرق
وتجري منبسطة حتى بيوتنا ، تلك المفاتيح
المسطحة ، نحو صدر الرجل المسن
عبر مرفأ الثوب الى المكان المليء
بالشعر بين الثندؤتين
والنهار قد حز منه القليل . والعالم
ليس جد عتيق اذ لم يضحك فجأة ..

*

حينئذ تصعد الدرج ثانية
رائحة القهـــوة

— ١٧ —

« عندما ستكونين قد انتهيت من ترتيب شعري،
سأكون قد انتهيت من بغضي لك . »
الولد يحب ان يمشط على
عتبة الباب
« لا تشدي هكذا بشعري .
يكفيني الان انه علي ان امس ، عندما
ستكونين قد رتبت شعري ، سأكون
قد ابغضتـــك » .
بينما حكمة النهار تأخذ
شكل شجرة حلوة
والشجرة الميود
التي تفقد قبضة من العصافير
تقشر لبحيرات السماء خضرة
جد بهية ، لا تفوقها غير بقة الماء خضرة
« لا تشدي كثيرا بشعري .. »
دعيني الان ، فانا ذاهب وحدي
سأخرج ، لان لدى عملا : حشرة
تنتظرني لافاوضها . انا افرح
بالعين الكبيرة ذات الوجيهات : العين المقرنة ،
غير المنتظرة ، مثل ثمرة السرو
او بالحري فان لدى تحالفا مع الحجار
ذات العروق — الزرقاء : وانت ستتركينني كذلك ،
جالسا ، في صداقة ركبتي

ترجمة : هاني صعب